مجلة العدوي للسانيات العرفية وتعليمية اللغات
Issn: 2773/ 3300
http://www.asjp.cirect.dz/en/presentation Revue/804
المجلد:03 العدد: 01 (ماي 2023) ص08/ 17

أثر التّوجيه النّحويّ للقراءات في اتّساع معنى النّص القرآنيّ

The effect of the grammatical orientation of the readings on the broadening of the meaning of the Quranic text.

د. محمد خميسي مهدي *
جامعة الشاذلي بن جديد – (الجزائر)
MAHDIALGER@HOTMAIL.COM

معلومات المقال
تاريخ الارسال: 2023/03/24
تاريخ القبول: 2023/04/13
الكلمات المفتاحية:
✓ التوجيه النحوي
✓ القراءات القرآنية
✓ تعدد الوظيفة النحوية

الملخص:
تطرح القراءات القرآنيّة تعددا في الأوجه النّحويّة للمفردة الواحدة، الأمر الذي يسمح بتعدد الوظائف النّحويّة لتلك اللّفظة الموافقة لمقاييس النّحاة وقواعدهم، فتتعدد الدلالات الّتي يحتملها التّركيب مع سلامة المعنى في كلّ وجه منها.
على ضوء هذا جاءت هذه المقالة لتبرز أثر تعدد الوظائف النّحويّة للمفردة الذي يحدثه التّغاير القرائي للنّص القرآني وما يترتب عليه من اتساع في معنى النص.

Article info
Received 24 / 03 / 2023
Accepted 13/ 04 / 2023
Keywords:
✓ : *Grammar guidance*
✓ :*Quranic readings*
✓ : *plurality of grammatical function.*

Abstract :
The Qur'anic readings suggest a multiplicity of grammatical aspects of a single word, which allows for a multiplicity of grammatical functions for that word that corresponds to the grammarians' standards and rules. The meanings that the syntax bears are multiplied, with the integrity of the meaning in each of them.
In the light of this, this intervention came to highlight the impact of the multiplicity of grammatical functions of the word caused by the reading variation of the Qur'anic text and the consequent expansion of the meaning of the text.

* المؤلف المرسل

. مقدمة:

القراءات القرآنيّة نصوص أصيلة من عصر الاحتجاج، حملت تعددا وتنوعا يصف الحالة التي كانت عليها اللّغة في عصر السماع و التّدوين؛ فكان ذاك بمثابة أرضيّة خصبة فتحت أمام البحوث اللّغوية عامّة والنّحويّة خاصّة مجالا لصقل القواعد واختبارها؛ من خلال تخريج ما تحصل من التغاير القرائي الذي حملته القراءات. وهذا الإجراء الذي عرف بالتوجيه رافقه تجدد في معاني النصوص القرآنيّة ، بسبب التّعدد الوظيفي الذي فرضه التّغاير القرائي في بعض الأحرف.

على ضوء هذا جاءت هذه المقالة لتبرز أثر تعدد الوظائف النّحويّة للمفردة الذي يحدثه التّغاير القرائي للنص القرآني وما يترتب عليه من اتساع في معنى النص. وتعود مقالتي في بحث هذا الموضوع إلى طرق جانبين :

- جانب مفاهيمي يحدد مصطلحي الدلالة النحوية والتوجيه النحوي للقراءات.
- نماذج من التّوجيه النّحوي لبعض أحرف القراءات ودوره في اتّساع المعنى للنّص القرآني.

2. الجانب المفاهيمي لمصطلح الدّلالة النّحويّة والتّوجيه النّحوي للقراءات.

2. 1. الدّلالة النّحويّة:

أ/ لغة: عرّفها الجرجاني بأنّها كون الشّيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر؛ فالأوّل هو الدّال والثّاني هو المدلول " فالمتكلم يوصل ما في نفسه من معاني باستثمار الأدلة أو الدلائل الموضوعة لذلك المعنى، وفي اختيار الأدلة واستثماره قوة بيانه أو ضعفه، وقد أشار الجاحظ إلى هذا فقال:((المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، ... وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وأخبارهم عنها،...وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى)). (الجاحظ ، 1423، صفحة 81)

فالمعنى في أصله واضح جليّ في نفس المتكلم، وإنّما يدخله التّردد في درجات الخفاء والوضوح بحسب الأدلة النّاقلة أو المستعملة لتبليغه وطريقة استعمالها.

ويسهم النّحو بدلالته بقسط كبير في ادراك المعنى . وهو ما يعرف بالدّلالة النّحوية و المراد بها: نظم الكلم بعضه الى بعض، ووضعه الوضع الذي يستحقه فهناك أوضاع لا تقبلها المفردات؛ أيّ لا تتلائم فيما بينها، ذلك لتنافر الضمائم في أصل وضعها ؛ كإسناد الفعل للذي هو مفعول في أصل الكلام.

إذا إضافة النّحو في جهة المعنى هي تحديده على وجه التّفصيل والتّدقيق بما ينتجه من دلالات حاصلة من العلاقات التي تحكم المفردات داخل التركيب، وهو ما يعرف بالدّلالة النّحويّة.

ب/ الدّلالة النّحويّة اصطلاحا.

لقد شرح عبد القاهر الجرجاني هذا المعنى وأسهب فيه؛ لكن لم يضع له تعريفا يُعتمد. قال ((أن تَعْمَد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر، أو تُتبع الاسم اسما على أن يكون الثّاني صفة للأوّل، أو تأكيدا له، أو بدلا منه، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفة أو حالا أو تمييزا، أو تتوخّى في كلام هو لإثبات معنى، أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنّيا، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك

أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطا في الآخر، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد اسم من الأسماء التي ضمّنت معنى ذلك الحرف ، وعلى هذا القياس)) (الجرجاني ، 1413هـ - 1992م)

وهذا الذي حكاه يعرف بالوظيفة النّحوية؛ أيّ أن يكون للفظة وظيفة نحوية تؤديها داخل التركيب من فاعلية أو مفعولية أو تقييد أو وصف وهذه الوظائف تساهم بشكل دقيق في تبليغ المعنى، وإضاءة جوانب قد لا تظهر في المعنى العام أو المعجمي.

وعليه يمكن صياغة تعريف للدّلالة النّحوية على نحو أنّها: **" الدّلالة التي يمنحها موقع اللّفظة في التركيب والذي يتحدد من خلال علاقتها بغيرها من المفردات"**. فقد تكون خبرا؛ أي اثبات أمر لأمر أو نفيه عنه . أو تابع قصده التّوكيد أو التّخصيص أو التّقرير، أو اسناد الفعل لصاحبه، وغيرها من المعاني المتقرر للوظائف النّحوية داخل التراكيب.

ويظهر هذا المعنى الدّقيق الذي يقدمه النّحو في جملة (يسبني) من قول القائل:

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِيْ ... فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لَا يَعْنِيْنِيْ

فقد رجّح النّحاة أنّها صفة للئيم على كونها حالا. و كونها صفة أظهر دلالة على المعنى المقصود، وهو التمدح بالوقار منه حال كونه حالاً. و المرجح للوصفيّة على الحالية، إذ اللئيم عادته السّب والشّتم وهي مستمرة في قوله (يسبني) بذلك كانت أفيد في المعنى على الوقار.

وعلى هذا كان انشغال المسلمون بالنّحو، فالنحو دلاليّ تفسيريّ في بداياته خادم للقرآن من جهة الوصول بالأدلة إلى المعاني بدقة وإظهار مقاصدها التي جاءت من أجلها.

2.2 التّوجيه النّحويّ للقراءات.

يستدعي مصطلح توجيه القراءات إذا أطلق عدّة معاني، تختلف باختلاف مجالات التّوجيه، وهذا الاتّساع طرح نوعا من التّعميم عند بعض الباحثين عند تعريفهم لتوجيه النّحويّ للقراءات، فتجدهم يسوقون تعريفا يعددون فيه مختلف الحقول اللّغوية دون أن يخصوا حقلا عن غيره بتعريف مستقل، وحتى لا ننساق لذلك، ولما كان البحث مقصورا على التّوجيه النّحوي ، وجب ابراز معنى التّوجيه ضمن دائرة هذا الحقل فقط.

وعليه فالتّوجيه النّحويّ للقراءات «هو علم غايته بيان وجوه القراءات القرآنية، واتفاقها مع قواعد النحو واللغة، ومعرفة مستندها اللغوي تحقيقا للشرط المعروف (موافقة اللغة العربية ولو بوجه)، كما يهدف علم التوجيه إلى ردّ الاعتراضات والانتقادات التي يوردها بعض النحاة واللغويين والمفسرين على بعض وجوه القراءات». (القضاة، 2001 م) هذا التعريف أبرز علاقة الوجوه بعلم النحو، إلا أنّه لم يقصرها عليه قصرا لا تتعدّاه، بل توسّع وأدخل اللّغة في مشمولات التّوجيه، ولا يخفى اليوم ما تشتمل عليه اللغة من علوم هي من قسيم علم النحو.

من هنا وجب ضبط هذا التّعريف وجعله في النّحو خاصا وخالصا له لا يتعداه؛ حاصله أن توجيه القراءات « **العلم الذي يبحث في القراءات في جانبها النّحوي، ووجه تأويلها لتتفق مع قواعد وأصول النّحو** العربي » وهو ما أشار إليه الطبري في تفسيره قال: (وإن كان قصدُنا في هذا الكتاب الكشفَ عن تأويل آي القرآن- لما في اختلاف

وجوه إعراب ذلك من اختلاف وجوه تأويله. فاضطرّتنا الحاجة إلى كشف وجوه إعرابه، لتنكشف لطالب تأويله وُجوه تأويله، على قدر اختلاف المختلفة في تأويله وقراءته) (الطبري ا.، 2000م)

فنبّه بكلامه هذا إلى علاقة تلك الوجوه الواردة عن التّغاير القرائي بالمعنى النّحوي، وما ينكشف من دلالات ومعاني بتوجيهها، ومن هنا كان واجب ((على النّاظر في كتاب الله الكاشف عن أسراره النّظر في هيئة الكلمة وصيغتها ومحلّها ككونها مبتدأ أو خبرا أو فاعلة أو مفعولة أو في مبادئ الكلام أو في جواب إلى غير ذلك من تعريف أو تنكير أو جمع قلة أو كثرة إلى غير ذلك)). (الزركشي ، 1975)

وقد أُثِر هذا المعنى - التوجيه للألفاظ القرآنيّة - في تفسير أبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وعلي بن أبي طالب وعلقمة بن قيس وزرّ بن حبيش وعروة بن الزبير ورفيع بن مهران ومجاهد بن جبر وعكرمة مولى بن عباس والحسن البصري وعطاء بن أبي رباح. (حاجي ، 1941)

استشهد أبو حيان بتوجيه ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى ﴿ أَيُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ﴾. (النحل ، الآية 59) قال: في قوله ﴿على هون﴾ قولان؛ أحدهما: أنه حال من الفاعل، وهو مروي عن ابن عباس. قال ابن عباس: إنّه صفة للأب، والمعنى: أيمسكها مع رضاه بهوان نفسه، وعلى رغم أنفه؟ وقيل: حال من المفعول؛ أي أيمسكها مهانة ذليلة، والظاهر من قوله: أم يدسه في التراب، أنه يئدها وهو دفنها حية حتى تموت. (الأندلسي أ.، 1420ه) والشاهد أن توجيه ابن عباس للنّصب ﴿هون﴾ أنها صفة للذي بشر بالأنثى وهي الحالة التي يكون عليها عند سماع البشارة. وهذا النّقل الذي جاء به أبو حيّان يثبت أصالة التّوجيه. ووجوده عند هذه الطبقة من الصحابة.

3. نماذج من تعدد الوظيفة النّحويّة للفظة ودوره في اتّساع المعنى.

1.3. **المسألة الأولى**: قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾. (المائدة ، الآية 06)

فلفظة (وَأَرْجُلَكُمْ) قرأها ابن كثير وحمزة وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر عنه بالجر. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه والكسائي ويعقوب: بالنّصب ﴿وأرجلَكم﴾. بذلك تكون قد أدّت هذه اللّفظة وظيفتين نحويتين بحسب كلّ قراءة، فهي جاءت معمولة للفعل (اغسلوا) وللفعل (امسحوا)، فمن جعلها للفعل اغسلوا نصب أرجلكم، ومن جعلها للفعل امسحوا جرّ (أرجلكم) وقد وجّه النّحاة كلّ قراءة بما تسنّى لهم من أدلّة:

من ذلك أن القائلين بالغسل جعلوا الجرّ بالعطف على المجاورة؛ أيّ معطوفا على اللّفظ دون المعنى، وهذا أيضا يدلّ على الغسل ؛ لأنّ المراعي بذلك المعنى لا اللّفظ، وإنّما خُفض للجوار كما تفعل العرب، وقد جاء هذا في القرآن وغيره قال الله تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾. (الرحمان، الآية 35) بجرّ النّحاس. وقال:﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾. (البروج ، الآية 22 – 21) بالجر محفوظ وهي نعت للقرآن .

ومن النظم قول امرئ القيس:

كَأَنَّ ثَبيراً، في عَرانِينِ وَبْلِهِ ..... كَبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ.

فخفض مزمل بالجوار، وإنّ المزمل الرجل وإعرابه الرفع، وقال زهير:

لَعِبَ الرِّيَاحُ بها وغَيَّرَهَا بَعْدِي.... سَوَافِي المُورِ والقَطْرِ.

قال أبو حاتم: كان الوجه القطرُ بالرّفع لكنّه جرّه على جوار المُور، كما قالت العرب: (هذا جُحْر ضَبٍ خَرِبٍ)، فجرّوه وإنما هو رفع. وهذا مذهب الأخفش وأبي عبيدة. (الطبري ا.، تفسير الطبري، 1384هـ - 1964 م)

وقول الآخر:

فَإِيَّاكُمْ وَحَيَّةَ بَطْنِ وَادٍ .... هَمُوزِ النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بِسِيَّ

وقول العجاج:

كأنّ نسْجَ العنكبوتِ المُرْمَلِ ... على ذُرا قُلّامِه المُهَدَّل

بجرّ «المرمل» وهو صفة «نسج» ، وإنّما جرّت لأجل المجاورة، وقرأ الأعمش: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (الذاريات، الآية 58) بجر المتين مجاورة ل «القوة» وهو صفة ل «الرزاق». (الحلبي ، د ت)

وأجرى القائلون بالمسح الجرّ بالعطف على الأقرب في قوله ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ وأيّدوا هذا المعنى – مسح الرجل دون غسلها- بآثار منها: ما روي عن ابن عباس أنه قال: « الوضوء غسلتان ومسحتان».

وروي أن الحجاج خطب بالأهواز فذكر الوضوء فقال: اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برءوسكم وأرجلكم، فإنه ليس شيء من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما. فسمع ذلك أنس بن مالك فقال: صدق الله وكذب الحجاج، قال الله وتعالى" وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم". قال: وكان إذا مسح رجليه بلهما. (الطبري ، تفسير الطبري، 1964م)

وروي عن أنس أيضا أنه قال: نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل. وكان عكرمة يمسح رجليه وقال: ليس في الرجلين غسل إنما نزل فيهما المسح. وقال عامر الشعبي: نزل جبريل بالمسح، ألا ترى أن التيمم يمسح فيه ما كان غسلا، ويلغى ما كان مسحا.

وقال قتادة: افترض الله غسلتين ومسحتين. وذهب ابن جرير الطبري إلى أن فرضهما التخيير بين الغسل والمسح، وجعل القراءتين كالروايتين وقال النحاس: ومن أحسن ما قيل فيه، أن المسح والغسل واجبان جميعا، فالمسح واجب على قراءة من قرأ بالخفض، والغسل واجب على قراءة من قرأ بالنصب، والقراءتان بمنزلة آيتين. (القرطبي، 1384هـ - 1964 م)

وقد اتّسع المعني بتعدد وظيفة اللّفظة بين التبعية والمفعولية ، فطرح الجرّ بالتبعيّة معنى جديد في الآية وهو مسح الرجلين.

المسالة الثانية: قوله تعالى ﴿ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحج ﴾. (البقرة ، الآية 202)

قد ورد في هذه الآية عدّة قراءات منها؛ الوقف الذى كان له أكبر أثر في توسيع المراد من قوله تعالى ﴿وَلا جِدالَ﴾ كما سيظهر بإذن الله تعالى. أمّا القراءات التي وردت فيها زيادة معنى فهي:

قراءة الكوفيين ونافع بفتح الثّلاثة من غير تنوين. وخرّج النحاة : إنها الحركة فيهم حركة بناء لا اعراب. و (لا) هنا لها عملين:

أحدهما: أن (لا) مع اسمها في موضع رفع على الابتداء وبه قال سيبويه.

وثانيهما: أن (لا) عاملة في الاسم النّصب وخبرها ﴿فِي الْحَجِّ﴾ ذلك بإجرائها مجرى (إن) في نصب الاسم ورفع الخبر وهو مذهب الأخفش.

و قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر برفع ﴿فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ﴾ وتنوين وفتح ﴿وَلا جِدالَ﴾ من غير تنوين. (كرار محمد، 1424 هـ - 2003 م)

فكل من الرفث والفسوق بالرفع ونصبت (ولا جدال). فخصّ الأولان بالنّهي وخصّ الثّالث بالنّفي فانتصب. ((فذلك يدل على أن الاهتمام بنفي الجدال أشدّ من الاهتمام بنفي الرّفث والفسوق؛ لأن الرّفث عبارة عن قضاء الشهوة والجدال مشتمل على ذلك، ولأن المجادل يشتهي تمشية قوله، والفسوق عبارة عن مخالفة أمر الله، والمجادل لا ينقاد للحق، وكثيرا ما يقدم على الإيذاء والإيحاش المؤدي إلى العداوة والبغضاء فلما كان الجدال مشتملا على جميع أنواع القبح لا جرم خصّه الله تعالى في هذه القراءة بمزيد الزجر والمبالغة في النفي)). (الرازي ، 1420 هـ)

المسالة الثالثة: قوله تعالى :﴿ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾. (النساء ، الآية 01).

في هذه الآية قراءتان في لفظة (الأرحام) و أفضى توجيههما إلى زيادة معنى في النص . الأولى قراءة الجمهور بنصبها. والثانية : : قراءة النخعي، وقتادة، والأعمش، وحمزة بالجرّ في ﴿الْأَرْحَامَ﴾.

أما قراءة النّصب فهي قراءة السّبعة وفيها ووجهها؛ الأوّل: أنّ (الأرحام) معطوف على لفظ الجلالة على حذف مضاف، و التّقدير: واتقوا الله وقطعَ الأرحام. وعلى هذا الإعراب جاء تفسير ابن عبّاس، وقتادة، والسُّدّيّ، وغيرهم. ويكون العطف من باب عطف الخاصّ على العامّ، لأنّ تقوى الله هو اجتناب مخالفته في كل ما أمر به ونهى عنه، وقطعُ الأرحام بعضُ ما نهى الله عنه.

الثاني : العطف على الاسم الجليل؛ أيّ اتّقوا اللَّهَ والأرحام وصلوها ولا تقطعوها فإن قطيعتها ممّا يجب أن يُتقّى وهو قول مجاهدٍ وقتادة والسّديّ والضّحاك والفراءِ والزجاج وقد جَوّز الواحديُ نصبَه على الإغراء؛ أي والزَموا الأرحام وصلوها.

أما قراءة الجرّ فقرأ بها حمزة، وابن عبّاس، والحسن، ومجاهد. وقتادة، والنَّخَعي، ويحيى بن وثّاب، والأعمش، وأبو رَزين. ووجهها: أن ﴿الْأَرْحَامَ﴾ معطوف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض. والعطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض جائز في السَّعَة نَظما ونَثرا عند المحققين، وبه قال أكابر الكوفيّين. (الأندلسي أ.، 1482 هـ - 2007 م) واحتجوا بما جاء في القرآن في غير هذا الموضع؛ منه قوله تعالى:﴿ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. (البقرة ، الآية 217). وتؤيّده قراءةُ عبد الله ابن مسعود (وبالأرحام) بإظهار الخافض. ومن كلام العرب نثراً قولهم: (ما فيها غيرُه وفرسِه).

أما النّظم فالشّواهد فيه كثيرة منها :

فاليومَ قَرَّبْتَ تهجونا وتَشْتِمُنا. . . فاذهبْ، فما بك والأيامِ من عَجَبِ

فعطف " والأيام " بالواو على الكاف من " بك ".

ومنه قوله:

لو كان لي وزهير ثالثٌ وَرَدَت. . . من الحِمامِ عِدانا شرَّ مورود

فعطف " زهير " بالواو على الياء في " لي ".

ومنه قوله:

تُعَلَّقُ في مثلِ السواري سيوفُنا. . . فما بينَها والأرضِ غوطٌ نفانِفُ

فعطف " الأرض " بالواو على الضمير في " بينها ".

ومنه قوله:

هلاّ سَأَلْتِ بذي الجَماجم عنهمُ. . . وأبي نُعيمٍ ذي اللِّواءِ المُحْرِقِ

فعطف " أبا نعيم " بالواو على الضمير في " عنهم ".

ومنه قوله:

إذا أوقدوا ناراً لحربِ عدوِّهم. . . فقد خابَ من يَصْلَى بها وسعيرِها

فعطف " سعيرها " بالواو على " بها ".

فكل ما تقدم كاف على صحة القاعدة ولذلك أخذ بها الشلوبين وابن مالك في الألفية قال :

وعود خافض لدى عطف على ... ضمير خفض لازما قد جعلا

وليس عندي لازما إذ قد أتى ... في النثر والنظم الصحيح مثبتا

والمعنى على هذه الوجه من القراءة ؛ ((اتّقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحام؛ لأنّ العادة جرت في العرب بأن أحدهم قد يستعطف غيره بالرحم، فيقول: أسألك بالله، والرحم، وربما أفرد ذلك فقال: أسألك بالرحم)). (الهراري ، 1421 هـ - 2001 م)

قال الطاهر بن عاشور: ((وعلى قراءة حمزة يكون تعظيما لشأن الأرحام أي التي يسأل بعضكم بعضا بها، وذلك قول العرب: «ناشدتك الله والرحم» كما روي في «الصحيح» : أن النبيء صلى الله عليه وسلم حين قرأ على عتبة بن ربيعة سورة فصلت حتى بلغ:﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾. (فصلت ، الآية 13) . فأخذت عتبة رهبة وقال: ناشدتك الله والرحم. وهو ظاهر محمل هذه الرواية وإن أباه جمهور النّحاة استعظاما لعطف الاسم على الضمير المجرور بدون إعادة الجار. حتى قال المبرد: «لو قرأ الإمام بهاته القراءة لأخذت نعلي وخرجت من الصلاة. وهذا من ضيق العطن وغرور بأن العربية منحصرة فيما يعلمه، ولقد أصاب ابن مالك في تجويزه العطف على المجرور بدون إعادة الجار، فتكون تعريضا بعوائد الجاهلية، إذ يتساءلون بينهم بالرحم وأواصر القرابة ثمّ يهملون حقوقها ولا يصلونها، ويعتدون على الأيتام من إخوتهم وأبناء أعمامهم، فناقضت أفعالهم أقوالهم، وأيضا هم قد آذوا النبيء صلى الله عليه وسلم وظلموه، وهو من ذوي رحمهم وأحق النّاس بصلتهم ... وعلى قراءة حمزة يكون معنى الآية تتمة لمعنى التي قبلها)). (ابن عاشور ، 1984 هـ)

وينفتح النّص على معنى آخر في قراءة الرّفع؛ أي رفع (الأرحام) وجهها أنها مبتدأ والخبر مقدر؛ أيّ والأرحام صلوها أو والأرحام أهل أن توصل، أو والأرحام كذلك أي مما يتقى أو يتساءل به. (خان ، 1412 هـ - 1992 م)

وهذا ليس بعيد عن معنى النّصب لكن في دلالاته على الأمر أقوى؛ لأنّه خبر في معنى الأمر فأصبح الأمر صريحا في جهة الدلالة على وجوب صلة الأرحام.

المسالة الرابعة: قوله تعالى:﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾. (المسد ، الآية 4)

قرأ الحسن وابن أبي إسحاق وابن محتضر والأعرج وعاصم ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ نصباً، وقرأ الباقون {حَمَّالَةُ الْحَطَبِ} بالرفع.

وتوجيه الرفع على الخبرية، على أنها جملة مسوقة للإخبار بأنّ امرأة أبي لهب حمّالة الحطب.

ومنه قول الشاعر:

إِنَّ بَنِيْ الأَزْرَمِ حَمَّالُوْ الْحَطَبْ ... هُمُ الْوُشَاةُ فِيْ الرِّضَا وَفِيْ الْغَضَبْ

عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ تَتَرَى وَالْحَرَبْ

وقال آخر:

مِنَ الْبِيْضِ لَمْ يَصْطَدْ عَلَى ظَهْرِ لامَةٍ ... وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الْحَيِّ بِالْحَطَبِ الرَّطْبِ.

وقد تكون ﴿امْرَأَتُهُ﴾ معطوف على الضمير في يصلى، أي وتصلى امرأته ناراً ذات لهب. فيكون رفع ﴿حمّالة﴾ على النّعت لامرأته، والإضافة حقيقية؛ لأنها بمعنى المضي، أو على أنّه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هي حمالة، قال ابن عبّاس: كانت تجيء بالشوك، وتطرحه في طريق النّبيّ - صلى الله عليه وسلم - وطريق أصحابه؛ لتعقرَهم بذلك، فسميت: حمالة الحطب.

وقرأ عاصم بنصب ﴿حَمَّالَةَ﴾ على الذّم، أو الشّتم؛ أي: أذم أو أشتم حمّالة الحطب، قال الزمخشري: ((وأنا أستحب هذه القراءة، وقد توسل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بجميلٍ من أحب شتم أم جميل)). (الزمخشري ج.، 1407 هـ)

وقيل: أنها حال من ﴿امرأته﴾ بناء على أن الإضافة غير حقيقية؛ إذ المراد أنها تحمل يوم القيامة حزمة حطب من ضريع وزقوم، وفي جيدها سلاسل النار.

فالتعدد الوظيفي للفظة حمّالة بين كونها صفة ومعمولة لفعل محذوف تقديره: أذم أو أشتم، أوجد اتّساعا في معنى النص القرآني لم يكن في الوجه الواحد.

المسالة الخامسة :قوله تعالى﴿ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. (يونس ، الآية 30)

اختلف القرّاء في لفظة (متاع). قرأها حفص عن عاصم بالنصب ، وقرأ الباقون بالرفع.

ومن قرأ ﴿مَتَاعَ﴾ بالرفع احتمل أن يكون خبر بغيكم، ويجوز أن يكون خبر مبتدإ محذوف، وتكون ﴿على أَنفُسِكُمْ﴾ خبر بغيكم. وتقدير ذلك ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ أو (هو متاع الحياة الدنيا)، وبين الرفعين فرق؛ ذلك أنّك إذا رفعت ﴿متاع ﴾ على أنّه خبر ﴿بغيكم﴾ كان المعنى: إنما بغي بعضكم على بعض متاع الحياة الدنيا مثل: ﴿فَسَلِّمُواْ على أَنفُسِكُمْ﴾. (النور، الآية61) و ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾. (التوبة ، الآية 128)

وإذا رفعتَ " المتاع " على إضمار مبتدإ، وجعلت " على أنفسكم " خبر بغيكم كان المعنى: إنما فسادكم راجعٌ عليكم مثل: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء، الآية 07) وهو معنى قراءة / من قرأ بالنصب. ويكون النصب على المصدر أي: تمتعون متاع الحياة الدنيا. (مكي، بن أبي طالب، 1429 هـ - 2008 م)

فعلى الأوّل: ((لا يحسن الوقف على قوله: (بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) للفصل بين المبتدأ والخبر.

والآخر: أن يكون خبر مبتدأ محذوف، ويكون خبر (بَغْيُكُمْ) هو قوله: (عَلَى أَنْفُسِكُمْ) وهو كلام تام، والوقف عليه تام، ويبتدئ: (مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)، على: هو متاع الحياة الدنيا)). (الطيبي ، 1434 هـ - 2013 م)

والمعنى المتخلص من الفرق بين وظيفة اللفظة في الرفع ووظيفتها في النصب: أنّه إذا رفعت كان المتاع خبرا للمبتدإ الذي هو (بغيكم) و يكون قوله (على أنفسكم) صلته، كقوله فبغى عليهم ومعناه: إنما بغيكم على أمثالكم

والذين جنسهم جنسكم، يعنى: بغى بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها. ويجوز أن يكون خبره: على أنفسكم، ويضمر مبتدأ، أي: ذلك متاع الحياة الدنيا، أو هو متاع الحياة الدنيا.

الحاصل: أنّه إذا جعل خبر المبتدأ على أنفسكم، فالمعنى، أن ما يقع من البغي على الغير هو بغي على نفس الباغي باعتبار ما يؤول إليه الأمر من الانتقام منه مجازاة على بغيه. وإن جُعل الخبر متاع؛ فالمراد: أنّ بغي هذا الجنس الإنساني على بعضه بعضا هو سريع الزوال قريب الاضمحلال، كسائر أمتعة الحياة الدنيا، فإنّها ذاهبة عن قرب متلاشية بسرعة ليس لذلك كثير فائدة ولا عظيم جدوى.

وإذا نصبت يكون على أنفسكم خبر غير صلة، معناه؛ إنّما بغيكم وبال على أنفسكم، ومتاع الحياة الدنيا في موضع المصدر المؤكد، كأنّه قيل: تتمتعون متاع الحياة الدنيا. ويجوز أن يكون الرفع تقديره: هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا تمكر ولا تُعن ماكرا، ولا تبغ ولا تعن باغيا، ولا تنكث ولا تعن ناكثا» وكان يتلوها. وعنه عليه الصلاة والسلام «أسرع الخير ثوابا صلة الرحم، وأعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة» وروى: «ثنتان يعجلهما الله. (الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 1407)

4. خاتمة:

إن هذا البحث يكشف حاجة المفسر لعلم النحو بوجه عام ، وقواعد توجيه الأحكام بوجه خاص ، لأن التوجيه النحوي يكشف عن دلالات أخرى قد تخفى على غير المتمرس في هذا العلم ، فالدلالة النحوية جزء من المعنى العام الذي يبحث عنه المفسر .

- الدلالة النحوية هي الدلالة التي تمنحها العلاقات التي تحكم مفردات التركيب، وهذه الدلالة تفتح أفق أوسع في فهم النص أو الحكم على الفهم بالفساد
- التوجيه النحوي للتغاير القرائي يرد شبه الطاعنين في القراءات ، وهو احد عوامل التجديد والاستنباط .
- اقترح بحوث في هذا الجانب الدلالي ، الذي مازال يكشف عن معاني جديد في النصوص القرآنية ربما تكون حلول لعدة نوازل معاصرة .

5. قائمة المراجع:

ابن جرير الطبري . (1384هـ - 1964 م). تفسير الطبري (الإصدار 2، المجلد 6). ، القاهرة، مصر: ، دار الكتب المصرية.

ابن جرير الطبري . (1964م). تفسير الطبري (المجلد 10).

ابن جرير الطبري . (2000م). جامع البيان في تأويل القرآن. (الإصدار 1، المجلد 1). لبنان: مؤسسة الرسالة.

أبو جعفر الأندلسي. (1482 هـ - 2007 م). تُحْفَةُ الأَقْرَانِ في مَا قُرِئَ بِالتَّثْلِيثِ مِنْ حُرُوفِ القُرْآنِ (الإصدار 2). المملكة العربية السعودية: كنوز أشبيليا.

أبو حيّان الأندلسي . (1420هـ). البحر المحيط في التفسير (المجلد 6). لبنان: دار الفكر.

أبو عمر الجاحظ . (1423). البيان والتبين (المجلد 1). لبنان: دار الهلال.

السمين الحلبي . (د ت). ، الدّر المصون، ج 4، ص 120. (المجلد 4). دمشق: دار القلم.

القرطبي. (1384هـ - 1964 م). ، أحكام القرآن (الإصدار 02). القاهرة، مصر: دار الكتب المصرية.

بدر الدين الزركشي . (1975). البرهان في علوم القرآن (الإصدار 1، المجلد 1). مصر: عيسى البابى الحلبي وشركائه.

جار الله الزمخشري . (1407). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (المجلد 2).

جار الله الزمخشري . (1407 هـ). الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل (الإصدار 3). ، بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.

خليفة حاجي . (1941). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (المجلد 1). بغداد: مكتبة المثنى.

سورة البروج . (الآية 22 – 21).

سورة البقرة . (الآية 202).

سورة البقرة . (الآية 217).

سورة التوبة . (الآية 128).

سورة المائدة . (الآية 06).

سورة المسد . (الآية 4).

سورة النساء . (الآية 01).

سورة فصلت . (الآية 13).

سورة يونس . (الآية 30).

سورة الإسراء. (الآية 07).

شرف الدين الطيبي . (1434 هـ - 2013 م). فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (الإصدار 1). الامارات العربية : جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

عزت شحاتة كرار محمد. (1424 هـ - 2003 م). الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية (الإصدار 1). ، القاهرة،: مؤسسة المختار.

فخر الدين الرازي . (1420 هـ). مفاتيح الغيب (الإصدار 2). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

محمد الأمين الهراري . (1421 هـ - 2001 م). تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (الإصدار 1، المجلد 5). بيروت، لبنان: دار طوق النجاة.

محمد الطاهر ابن عاشور . (1984 هـ). التحرير والتنوير (المجلد 4). تونس: الدار التونسية للنشر.

محمد صديق خان . (1412 هـ - 1992 م). فتحُ البيان في مقاصد القرآن (المجلد 3). بيروت، لبنان: المكتبة العصريَّة.